منشأ الخلافات العقدية دراسة في الاسباب والاثار

الباحثة : زينة عادل سالم
جامعة بابل / كلية العلوم الاسلامية

The origin of contractual disputes is a study of the causes and effects

Researcher: Zinah Adel Salem
University of Babylon / College of Islamic Sciences
Zinahihsan19@gmail.com

Abstract :
Difference is a natural feature of human beings, and this difference takes place in everything, as it is physical and rational, and the difference must be acceptable to humans, and even if it does not spoil friendliness is an issue, but the most important issue remains how to manage conflict, and how we are educated to accept it, and to acknowledge that it is a human right, but rather a right. It is an Islamic duty, and we learn how to disagree, because that is not inferior to learning how to agree, and how to reach the stage of recognition (of the other), and that he has every right to have an opinion as we have an opinion, and that the literature of disagreement is one of the highest human etiquette and the highest ranks. Morals, isolation and fanaticism are adolescence and human childhood.

Key words: religious differences, Islamic schools of thought, Shiites, Ash'ari, Hanbalis, political impact

الملخص
الاختلاف سمة طبيعية عند البشر وهذا الاختلاف حاصل بكل شيء فهو جسماني وعقلاني، والاختلاف لابد ان يكون مقبولاً عند البشر فهو وان كان لا يفسد من الود قضية، لكن القضية الأهم تبقى كيف ندير الخلاف، وكيف نتربى على قبوله، والإقرار بأنه حق إنساني، بل حق وواجب إسلامي، ونتعلم كيف نختلف، لأن ذلك ليس أقل شأناً من أن نتعلم كيف نتفق، وكيف نصل إلى مرحلة الاعتراف (بالآخر)، وأن له كل الحق أن يكون له رأي كما أن لنا رأياً ، وأن أدب الخلاف يعتبر من أرقى الآداب الإنسانية وأعلى مراتب الأخلاق، وأن الانغلاق والتعصب مراهقة وطفولة بشرية.

الكلمات المفتاحية : الاختلافات العقدية ، المذاهب الإسلامية، الشيعة، الاشاعرة، الحنابلة، الأثر السياسي.

المقدمة

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وسلم ومن والاه، وبعد :

لا يخفى على كل مسلم بصير ما تعيشه أمة الإسلام من شتات وفرقة، واختلافات أوجبت عداوة وشقاق، إذ تجاذبت أهلها الأهواء، وتشعبت بهم البدع، وتفرقت بهم السبل، فلا عجب أن تراهم بين خصومة مذهبية، وحزبية فكرية، وتبعية غربية أو شرقية.

وإذا كان المسلمون اليوم يلتمسون الخروج من هذا المأزق فلا سبيل إلاّ بالاعتصام بحبل الله المتين وصراطه المستقيم، مجتمعين غير متفرقين، متعاضدين غير مختلفين.

ويكون ذلك بتوحيد الهدف والغاية مع حسن النية وسلامة القصد ووقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه وإلا فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية ولكن إذا كان الأصل واحدا والغاية المطلوبة واحدة والطريق المسلوكة واحدة لم يكد يقع اختلاف وإن وقع كان اختلافا لا يضر كما تقدم من اختلاف الصحابة فإن الأصل الذي بنوا عليه واحد وهو كتاب الله وسنة رسوله والقصد واحد وهو طاعة الله ورسوله والطريق واحد وهو النظر في أدلة القرآن والسنة وتقديمها على كل قول ورأي وذوق وسياسة

وسبب اختياري لهذا الموضوع هو ما نجده في وقتنا المعاصر من صراعات فكرية وعقدية وسياسية بين المسلمين وما تركته من تداعيات سلبية على الاسلام، لذا تناولت هذه الخلافات وتداعياتها فقد قمت بتقسيم البحث الى تمهيد تعريف بالمصطلحات العنوان و تناولت في المطلب الاول نشأة الخلافات العقدية , اما المطلب الثاني فتناولت فيه اسباب الخلافات العقدية الاجتماعية والسياسية والاثار التي ترتبت على هذه الخلافات

التمهيد :التعريف بالمصطلحات ومنشأ الخلافات العقدية

اولا: الخلاف لغة

تدور مادة خلف في أصول ثلاثة، أحدهما: أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني: عكس قدّام، والثالث: التغيير [1]

الخلاف لغةً: مصدر خالف، كما أن الاختلاف مصدر اختلف، والخلاف هو: المضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافاً، وتخالف الأمران واختلفا، لم يتفقا، وكل ما لم يتساوَ فقد تخالف واختلف، قال سبحانه: "وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ" [الأنعام:141][2]

إذاً: الخلاف والاختلاف في اللغة: ضد الاتفاق، وهو أعم من الضد، قال الراغب الأصفهاني: "الخلاف: أعم من الضد؛ لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين"[3].

فمثلاً: السواد والبياض ضدان ومختلفان، أما الحمرة والخضرة فمختلفان وليسا ضدين، والخلاف أعم من الضدية؛ لأنه يحمل معنى الضدية، ومعنى المغايرة مع عدم الضدية[4].

ويستعمل الاختلاف عند الفقهاء بمعناه اللُّغوي . ولا يختلف المعنى الشرعي للخلاف عن المعنى اللغوي ، إلا أنه مقصور على الاختلاف في المسائل الشرعية ، فالعلاقة بين المعنيين هي علاقة عموم وخصوص مطلق ، ذلك أن علماء الشريعة يطلقون الخلاف على المسائل الشرعية التي لم يجمع عليها ، فالخلاف ضد الإجماع[5]

ثانيا: الخلاف في الاصطلاح

---

(1) ابي الحسين أحمد بن زكريا بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد , معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد,هارون، دار الفكر , 1979 م,ج2, ص210

(2) ابن منظور، لسان العرب,ج4 , ص181

(3) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ط2، دار القلم، دمشق، سنة 1412هـ/1992م,ص294.

(4) عوامه، محمد، أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، دار البشائر، بيروت، ط2، 1418هـ/1998م,ص8

(5) الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني , مفردات ألفاظ القرآن, أبو القاسم ، دار القلم دمشق، ص293

الاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع، استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال –تعالى: "فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ" [مريم:37]، وقوله تعالى:"وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ..." [هود:118][6].

وعليه فيكون الخلاف والاختلاف في الاصطلاح هو: "أن يذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر"[7]. أو هو: "منازعة تجري بين المتعارضين؛ لتحقيق حق أو لإبطال باطل"[8].

المطلب الاول : اولاً : نشأة الخلافات العقدية

لم يخش على الأمة الإسلامية الفقر بقدر ما كان يخشى عليها أن تبسط عليهم الدنيا كما بسطت لمن قبلهم فبعد أن استقر الأمر بالمسلمين وفتحت الأمصار واتسع لهم الرزق، ووجدوا فسحة من الزمن، ظهر هناك نوع من الترف الفكري إلى جانب الترف المادي، فظهرت الفلسفة وعلم الكلام ومباحث عقلية وجدلية عدّة ؛ مما أدى إلى ظهور خلافات فكرية وعقدية ومن تداعياتها ظهور فرق وتيارات داخل الساحة الإسلامية[9]

شهد مجتمعنا الاسلامي وعبر مساره التاريخي كغيره من المجتمعات الانسانية ظهور الاختلافات فيه، التي كانت تتشكل وتتطور عبر مسار بنائي مرتبط بحركة تلك المجتمعات، هذه الاختلافات التي اصطبغت بصبغة اسلامية تحركها الاهواء الخاصة وبالتالي ابتعدت عن المسار الديني الصحيح.

و ان الاختلافات هي الابتلاء والامتحان' وان هذا الابتلاء قد يأتي من الله لقوله تعالى ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾[10] ، اي ان الله سبحانه وتعالى لابد ان يبتلي المؤمنين بحسب ما عندهم من الايمان، كما جاء في الحديث الشريف «اشد الناس بلاء الانبياء، ثم الامثل فالأمثل، فيبتلى الرجل حسب دينه...» [11] ، وقال تعالى ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ [12] ، اي الذين صدقوا في دعواهم الايمان وممن هو كاذب في قوله ودعواه، والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون ومالم يكن، ومنها الاختلافات التي ستحدث بين الطوائف والمذاهب لقوله تعالى﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ...**﴾[13].

---

(6) الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن: 294.

(7) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب شرح الوجيز ,المكتبة العلمية، بيروت, ص179.

(8) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ط الأولى 1416هـ/1996م, ص135.

(9) للدكتور مصطفى سعيد الخن والدكتور محيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية –أركانها –حقائقها –مفسداتها، دار ابن كثير، ط6 , دمشق، بيروت، 2009 م,ص52.

(10) سورة العنكبوت ، اية1.

(11) الترمذي: سن الترمذي 540.

(12) سورة العنكبوت ، اية3.

(13) سورة الحجرات ، اية9.

واشار الى ادوات الاختلاف لقوله (صلى الله عليه واله وسلم) «إِنِّي لا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إلا الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[14] ، ويعني بالأئمة هنا الولاة والحكام الفاسدين وكذلك الدعاة والعلماء الضالين.

وبغض النظر عن اختلاف الآراء في كون حادثة السقيفة هو نكران لوصية الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بتولي الامام علي (عليه السلام) امور المسلمين بعده رغم تذكير الامام علي (عليه السلام) بحديث الغدير واحتجاجه عليهم بحديث الولاية لان القوم لم ينصتوا للأمر ونفذوا ما ارادوا، والذي اعتبره بعض المؤرخين انه اجتماع حضاري ولد الشورى ليكون تداول للسلطة بعيدا عن التوريث او الحق الالهي [15] ، الا انها كانت البذرة الاولى للاختلافات التي تحمَّل وزرها المسلمون الى يومنا هذا.

وسارت الامور باختلافاتها وتناقضاتها إلَّا أنَّ تولى الخليفة عثمان بن عفان امور المسلمين، وما حدث في عهده من معارضة لسياسته كون الغالبية العظمى من المسلمين رأت انها خروج عن خط الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والخليفتين الاول والثاني[16].

وبعد تولي الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الخلافة اتخذ مجموعة من الاجراءات ومنها عزله لمعاوية بن أبي سفيان عن ولاية الشام , الذي رفض تنفيذ الامر، وامتنع عن مبايعة الامام علي (عليه السلام) بالخلافة، وحشد اهل الشام لملاقاته فما كان من الامام علي (عليه السلام) الا ان ارسل الى أهل الشام يدعوهم الى مبايعته وحقن دماء المسلمين، الا انهم رفضوا ذلك والتفوا حول معاوية بن ابي سفيان فقرر الامام علي (عليه السلام) المسير بقواته اليهم لحملهم على الطاعة، وعدم الخروج على اجماع المسلمين [17]

وكان نتيجتها حادثة التحكيم التي جرت بين الطرفين، وما ترتب عليها من فرقة بين المسلمين واغتصاب للحق، والتأسيس لسياسات ومفاهيم جديدة لم يعهدها المسلمون من قبل ومنها البدء بتصفية آل بيت النبوة وذلك بقتل الامام علي (عليه السلام) سنة (40هـ/661م) وسبهم بصورة علنية في المساجد وعلى رؤوس الاشهاد[18]

واشار الحاكم النيسابوري ايضا، ان المغيرة بن شعبة اثناء مدة ولايته على الكوفة من قبل معاوية سب علي بن ابي طالب (عليه السلام) فقام اليه زيد بن ارقم فقال "يا مغيرة، الم تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن سب الاموات فلم تسب عليا وقد مات" [19].

---

(14) ابو داود: سنن ابي داود 306/6

(15) الطبرسي: الاحتجاج 137/1

(16) ابن كثير: البداية والنهاية 270/10.

(17)الطبري: تاريخ الطبري: 5/5-10

(18) مغنيه، محمد جواد: الشيعة والحاكمون 118.

(19) المستدرك 541/1.

ولم يتوقف الامر عند هذا الحد بل استمر الى ملاحقة اتباعهم والتنكيل بهم وتشريدهم واستباحة دمائهم والاستمرار بتصفيتهم والتعدي على دماء العترة الطاهرة من ال بيت النبوة، حينما اقدم بني امية على قتل الامامين الحسن والحسين (عليهما والسلام) وسبي نسائهما واطفالهما، ومصادرة حقهما، كل هذا ادى الى انقسام الامة الاسلامية وظهور الخلافات السياسية والفكرية والعقائدية بين المسلمين، والتي ادت بدورها الى نشوء الفرق السياسية والعقائدية التي تعصبت لأفكارها وعقائدها، وتطور الامر في عصر اتباع التابعين واتباعهم الى ظهور المذاهب الفقهية، وكان العوام يقلدونهم بلا تمذهب وبدون تعصب [20].

ان تأسيس المذاهب الاسلامية وظهورها في الواقع المذهبي والفكري قد حصل بعد وفاة اصحاب المذاهب الاربعة بسبب تعصب اتباع كل امام لفقه مذهبهم وهذا ما عبر عنه بقوله: "فبعد مضي عصر ائمة المذاهب وجاء دور اتباعهم فشغل كل بمذهبه الذي يرتضيه، وتأصلت روح الخصومة وانحاز كل الى جهة بدون التفات الى ما وراء هذا التحيز من خطر على العلم، في ضياع حقيقته، وسلب منافعه التي اراد الاسلام ان تسير الامة على ضوء تعاليمه القيمة لاكتساب السعادة , وظهر التعصب المذهبي بصورة جلية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وما بعده حيث انتشر التمذهب الفقهي بين الناس ودب الخلاف والجدل بينهم حتى اصبح لا يميز بين الحق والباطل "ولم يأت قرن بعد ذلك الا وهو اكثر فتنة [21].

كان المسلمون في بداية الدعوة الاسلامية يستمدون تشريعاتهم من الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذلك من الامراء والقضاة الذين ارسلهم (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المناطق التي تم فتحها في شبه الجزيرة العربية، وبقي الامر على حاله حتى رحيل الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) الى الرفيق الاعلى[22]

اما بعد هذه الفترة كان الناس يرجعون في امور دينهم الى الصحابة الذين تفرقوا في الامصار الاسلامية لانهم كانوا الاقرب الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والاعرف في احكام الدين، فلما جاء عصر التابعين وتابعي التابعين انقسم الفقهاء الى قسمين اهل الحديث واهل الفتوى او الراي، وكثر المُفتون في المدينة المنورة ومكة والشام ومصر والكوفة وبغداد وغيرها [23] ، والتي سميت بمدرستي اهل الحديث واهل الراي الى جانب مدرسة اهل البيت(ع)، وهذا ادى الى بروز عدد من الفقهاء كان لهم اثر على الساحة الفكرية، وان يكون لهم اتباع عملوا على استمرارية آراء هؤلاء الفقهاء فشكلت مساراً وطريقا اذ انقسم المسلمون الى مذاهب كثيرة وصلت الى العشرات، استمر بعضها الى يومنا هذا، بينما اختفى العدد الاكبر منها، وضلت اراءها حبر على ورق في بطون الكتب، ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر، مذهب عمر بن عبد العزيز ومذهب الحسن البصري، ومذهب ابو محمد سليمان الاعمش [24] ، وغيرها العديد من المذاهب الفقهية تزيد على الخمسين مذهباً لم يعد لأي منها وجود.
وقد كتب البقاء لعدد من المذاهب الاسلامية يأتي في مقدمتها:

(20) الدهلوي: الانصاف في بيان اسباب الاختلاف 68.

(21) الامام الصادق والمذاهب الاربعة 187/1.

(22) الكنجي الشافعي: كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب112.

(23) ال محسن، علي: مسائل خلافية 126.

(24) ابن كثير: البداية والنهاية846/14.

اولا. **المذهب الشيعي الجعفري:** نسبة الى الامام جعفر الصادق (ت148هـ/764م).
ثانيا. **المذهب الحنفي:** نسبة الى ابي حنيفة النعمان (ت150هـ/ 767م).
ثالثا. **المذهب المالكي:** نسبة الى مالك بن انس (ت179هـ/796م).
رابعا. **المذهب الشافعي:** نسبة الى محمد الشافعي (ت204هـ/820م).
خامسا. **المذهب الحنبلي:** نسبة الى احمد بن حنبل (ت241هـ/855م).

ومن أبرز أسباب قيام الجدل هو الترف المادي ثم الترف الفكري فحين تتشبع العلوم وتتشعب الفنون تميل النفوس إلى بحث كل شاردة وواردة، وتميل أيضا إلى الطرائف واللطائف ثم للغرائب ولكل مخالف، وكلما بعد الزمن من عصر النبوة خفت المشكاة الربانية ومن الأسباب الخارجية لنشأة الجدل والخلاف الاحتكاك الثقافي بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأجنبية مما أدى تسرب الأفكار المنحرفة إلى البيئة الإسلامية فأفسدتها وأفرزت سمومها وانتهت إلى ظهور تيارات فكرية وفرق منحرفة[25]

الدين الإسلامي يشتمل على أصول وفروع، والخلاف المذموم في الإسلام هو ما كان خلافاً في الأصول، أو كان في الفروع وجرّ إلى منازعة أو خصومة وتعصب بين المسلمين.

والخلافات العقدية تتعلق بأصول الدين؛ لأن مباحث العقيدة الإسلامية تتعلق بالأصول، وسبب إدراج الخلافات العقدية ضمن مبحث الخلافات الفكرية؛ يعود إلى أن سبب تلك الخلافات هو العقل الإنساني في تعامله مع تلك الأصول، وإلا فالعقيدة ثابتة لا تتغير، وإنما التغيير يكون في فهم النص، أو قبول هذه الأصول أو ردها، وردها يكون إما عن جهل أو بلا دليل, وجميع الاختلافات الفكرية والعقدية المذموم منها تمثل خروجا عن الاعتدال والوسطية في الخطاب الإسلامي وأهدافه، والوسطية في الخطاب الإسلامي لا تعني الوقوف بين الحق والباطل، بل تعني الوقوف على المساحة المخصصة للحق وعدم الخروج يمينا أو شمالا بالتدافع الفكري أو العقدي, والخلاف في أصول الدين بين المسلمين له تداعيات خطيرة على الخطاب الإسلامي، حيث يشق عصا المسلمين، ويمثل تحديا كبيرا أمام القيام بمهام الدعوة الإسلامية ونشرها وتبليغها[26].

وهذا النوع من الخلاف له تداعيات على الخطاب الإسلامي أقوى وأوقع من تداعيات الخلاف في الفروع، لأنه يستلزم المنازعة والخصومة بين أفراد الأمة الإسلامية، وبغض النظر عن وجود الحق مع أي جانب، فانه من الناحية العملية يمثل اكبر تحدي للأمة الإسلامية وخطابها , قال تعالى : (وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الانفال , 46]

ثانياً : الاسباب الاجتماعية للخلافات العقدية

حدثت الكثير من الخلافات المذهبية بسبب قيام علماء المذاهب الاسلامية بالذم وتكفير بعضهم الآخر نتيجة للاختلاف الفقهي والعقائدي بينهم.

---

(25) محمد عزيز نظمي سالم، الثقافة والعقيدة الإسلامية, مؤسسة شباب الجامعة، 1986 م، الإسكندرية، مصر: 10 وما بعدها.

(26) الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد 526/14.

فقد ادت محنة خلق القرآن الى حالات من التكفير المتبادل بين المذاهب الاسلامية، فطائفة تقول ان من قال القرآن غير مخلوق فهو كافر واخرى تكفر من قال ان القرآن مخلوق وأدى الامر الى حالة من التناحر والفرقة بين المسلمين((27)).

واستمرت حالات التكفير والذم بين المذاهب الاسلامية، التي ادت الى وقوع الخلاف بينهما، وكان الحنابلة الطرف الرئيسي في معظم هذه الخلافات ، ففي سنة (1077م)، وقعت خلافات بين الحنابلة والاشاعرة وكان السبب في ذلك ان أبا نصر بن عبد الكريم القشيري الأشعري الذي جاء إلى بغداد و استقر بالمدرسة النظامية، تكلم في مدح مذهب الأشعري واخذ يذم الحنابلة وينسبهم الى التجسيم في صفات الله تعالى، فجرى له مع الحنابلة خصومات وفتن وكثر اتباعه والمتعصبون له فقصدوا الحنابلة واتباعهم في سوق المدرسة النظامية وهاجموا مسجد الشريف أبي جعفر الحنبلي فرد عليهم الحنابلة ورموهم بالآجر، واشتبك الطرفان في مصادمات دامية قتلوا جماعة منهم، وكان من المتعصبين للقشيري شيخ الشافعية أبو إسحاق الشيرازي وغيره من الاعيان((28)).

من هذه الخلافات يبدو مدى الاحتقان والبغض والتنازع بين الطرفين، في بغداد مازالوا معتضدين بعضهم بالآخر حتى حدث الخلاف في زمن ابي نصر القشيري' لكن هذا يخالف الواقع نظرا لان مظاهر العداء والخصومة تعود الى ما قبل ذلك بعقود ما حدث بين الحنابلة والاشاعرة من خصومات ومصادمات قبل اخلاف القشيري كاحتجاجهم على كتاب ابطال التأويلات للقاضي ابي يعلى الفراء وما حدث بينهما من فتن وصراعات في سنوات((29)).

وقد وصل الاحتقان بين الحنابلة والاشاعرة الى اعلان التبري من مذهب الآخر اثناء تلقين الموتى، حدث ذلك اثناء دفن ابن الزوزنيسنة حتى أنه لما توفي ابن الزوزني وحضره أصحاب الشافعي على طبقاتهم وجموعهم في فورة أيام القشيري وقوتهم بنظام الملك حتى بلغ الأمر إلى تلقين [الميت من قبل] الحفار قال له [طاهر بن الحسين]: تنح حتى ألقنه أنا، فهذا كان على مذهبنا، ثم قال : يا عبد الله وابن أمته، إذا نزل عليك ملكان فظان غليظان، فلا تجزع ، ولا تُرَع، فإذا سألاك فقل : رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، لا أشعري، ولا معتزلي، بل حنبلي سني فلم يتجاسر أحد أنْ يتكلم بكلمة، ولو تكلم أحد لفصخ رأسه أهل باب البصرة، فإنهم كانوا حوله قد لقن أولادهم القرآن والفقه، وكان في شوكة ومنعة، غير معتمد عليهم، لأنه أمة في نفسه"((30)).

يبدو ان الذي حدث في اخلاف ابي نصر القشيري هو وصول الامور الى الحد الذي لا يطاق، فقد كان الاشاعرة يقمعون من قبل الحنابلة، فعظم ذلك على الاشاعرة الامر الذي دعى القشيري الى استنكاره اشد الاستنكار ، وهذا ما اشار اليه ابو يعلى الفراء بقوله: "وصل الى مدينة السلام، بالجانب الشرقي ولد القشيري [ابي نصر]، واظهر

((27)) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير , تاريخ الطبري (تاريخ الامم والملوك) ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط2، دار المعارف ، القاهرة، ج9, ص135.

((28)) السبكي ، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي, طبقات الشافعية, تحقيق محمود محمد الطناحي ، وعبد الفتاح محمد الحلو ، ط1 ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة، 1964م , ج7, ص162.

((29) ابن العماد الحنبلي, شذرات الذهب,ج5,ص223.

((30)) ابن رجب, , زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن, ذيل طبقات الحنابلة, تحقيق عبد الرحمن سليمان العثيمين، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2005م, ج1,ص87.

على الكرسي مقالة الاشعري، ولم تكن ظهرت قبل ذلك على رؤوس الاشهاد، لما كان يلحقهم من ايدي اصحابنا وقمعهم لهم، فعظم ذلك عليه، وانكره غاية الانكار، وعاد الى نهر المعلى منكرا لظهور هذه البدعة، وقمع اهلها، فاشتد ازر اهل السنة [الحنابلة]، وقويت كلمتهم، واوقعوا بأهل هذه البدعة دفعات، وكانت الغلبة لطائفتنا؛ طائفة الحق"((31)).

وهذا يدل على إن كلمتهم لم تكن مجتمعة ولا متوافقة وإنما كان كل طرف يتربص بالآخر، ويتحيّن الفرص للانقضاض عليه، وهو تعبيرٌ عمليّ، و دليلٌ واضحٌ على الأزمة الفقهية والعقائدية بين المذاهب السنية، وأنَّ الذي بينهم لاسيما الحنابلة مع المذاهب الاخرى لم يكن خلاف عادي او طارئ، بل هو خلاف جوهري يخرج بعضهم الاخر من خانة الاسلام الى خانة الكفر، وهذا ما صرح به الشريف ابو جعفر الحنبلي في مجلس الصلح بين الحنابلة والاشاعرة الذي دعا له الخليفة العباسي بقوله: "أي صلح بيننا، انما يكون الصلح بين مختصمين على ولاية او دنيا، او قسمة ميراث، او تنازع في ملك، فأما هؤلاء القوم [الاشاعرة] يزعمون اننا كفار، ونحن نزعم ان من لا يعتقد ما نعتقده كافر، فأي صلح بيننا"((32)).

وتكررت الخلافات سنة (1078م) ببغداد، بين الحنابلة و فقهاء أشاعرة من المدرسة النظامية، بعد أيام من ورود كتاب الوزير نظام الملك ردا على رسالة الأشاعرة في اخلاف ابن القشيري، عندما قام فقيه أشعري بتكفير الحنابلة، فتصدوا له و رموه بالآجر، فدخل الى سوق الذي تقع فيه المدرسة و استغاث بأهلها، فأغاثوه و اندلع قتال بين الطرفين، و عم النهب بينهما وقتل الحنابلة مريضا من الاشاعرة وجدوه في احد غرف المدرسة، واشتدت الخلافات وعم القتل، ولم تتوقف المواجهات إلا بتدخل الجند، وكتب فقهاء الشافعية محضرا ضمّنوه ما جرى، وأرسلوه إلي الوزير نظام الملك الذي كان بخراسان((33)).

وعادت الخلافات بين الاشاعرة والحنابلة سنة (1082م) ببغداد بسبب التكفير عندما جاء ابو القاسم البكري المغربي الاشعريالى بغداد، فجلس للوعظ في المدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة ويكفرهم ويقول: ﴿**ما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا**﴾ ((34))، والله ما كفر احمد ولكن اصحابه كفروا، وعبر يوما الى نهر القلائين، فجرى بين بعض اصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة ادت الى الخلافات وكثر جمعه فكبس دور الحنابلة واخذ كتبهم وأخذ منها كتاب الصفات لابي يعلى، وكان يُقرا بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ، فيشنع به عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن كثيرة((35)).

((31)) ابو يعلي, الحسين محمد بن ابي يعلي ,طبقات الحنابلة , تحقيق محمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت , ج3 ,ص442.

((32)) ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن ,المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا, ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992م, ج16, ص191

((33)) ابن الاثير ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن, الكامل في التاريخ, تحقيق عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986,ج8, ص415.

((34)) سورة البقرة: اية 102.

((35)) ابن الاثير, الكامل في التاريخ,ج 8,ص428.

لقد وصلت الخلافات بين الاشاعرة والحنابلة الى حد التهجم والطعن والذم بأبشع الالفاظ، فالأشاعرة وصفوا الحنابلة بانهم جماعة من الحشوية والاوباش الرعاع، المتوسمين بالحنبلية اظهروا ببغداد من البدع الفظيعة والمخازي الشنيعة مالم يتسمح به ملحد فضلا عن موحد ، اما الحنابلة فقد ذموا الاشاعرة وشنعوا عليهم واتهموهم بالتمويه على الناس، وشبهوهم بالزنادقة، وانهم يخفون مقالتهم والتظاهر بخلافها وايهام العامة بمعتقداتهم((36))

ان هذه الخلافات التي حدثت بين الحنابلة والاشاعرة حلت محل الخلافات التي كانت بين الشيعة والحنابلة اثناء فترة الحكم البويهي، وهذا يدل على ان الحنابلة هم المحرك الاساس لهذه الخلافات سواء في العهد البويهي او السلجوقي ويبدو ان السبب في ذلك هو غلبة الحنابلة الواضحة ببغداد لاسيما في العهد السلجوقي مقارنة مع المذاهب السنية الاخرى، وقد اقر الوزير نظام الملك بذلك ردا على الرسالة التي وجهت له بُعَيد الخلافات التي حدثت سنة (469هـ/1077م) بقوله "فان الغلب هناك –يعني بغداد– وهو مذهب الامام ابي عبد الله احمد بن حنبل" محملا ابو نصر القشيري سبب الخلافات لأنه اجاب خلاف معتقدات الحنابلة ((37)).

وكان للتوقيع الذي صدر من قبل الخليفة القائم بأمر الله ضد الشيعة في الكرخ واصفا اياهم بالضلالة وتوعدهم بأشد العقوبة، ومطالبهم بإزالة حي على خير العمل من الاذان وابدالها بالصلاة خير من النوم، وذكر الصحابة في مساجدهم وصلاتهم، سببا في هجوم السنة بعد ايام من اصداره، على الشيعة وحدوث اخلاف بينهما ادت الى نهب وحرق اموال الشيعة، اذ كان ينادى على المواد المنهوبة من الشيعة حينما عرضت للبيع في الجانب الشرقي: "هذا مال الروافض وشراءه وتملكه حلال"((38)).

وقد حاول نظام الملك اثناء زيارته الى بغداد ، حل الخلافات بين المذاهب السنية وايجاد حكومة قوية الا ان محاولته باءت بالفشل، فقد دخل عليه ابو يوسف القزويني المعتزلي وكان مع نظام الملك رجل من الحنابلة وآخر اشعري فقال له: "ايها الصدر –نظام الملك– ، قد اجتمع عندك رؤوس اهل النار، فقال: كيف؟ قال: انا معتزلي وهذا مشبه (الحنبلي)، وذاك اشعري ، وبعضنا يكفر بعضا" ((39))

اما في استراباد فقد وقعت خلاف عظيم سنة (1159م) بين الشيعة وبين الشافعية و سببها ان العالم ابو حامد البروي الطوسي الشافعي وصل استراباد فعقد مجلسا للوعظ وكان قاضيها شافعي المذهب ايضا فثار الشيعة بالشافعية ومن يتبعهم ووقعت بين الطائفتين اخلاف عظيمة غلب فيها الشيعة((40)).

ويعلل الامين سبب حدوث هذه الخلافات بان الواعظ تعرض في مجلس وعظه هذا لذم الشيعة فأثار حميتهم ووقعت الخلافات كما هي العادة المتبعة في مجالس هؤلاء الوعاظ الذين يعرضون عن وعظ الناس بما ينفعهم في

((36)) ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسين ابن هبة الله , تبيين كذب المفتري, تحقيق القدسي، مطبعة التوفيق، دمشق، 1928م,ص 310.

((37)) ابن قدامة المقدسي ، ابو محمد عبد الله بن احمد, مناظرة في القرآن العظيم, تحقيق ابو عبد الله محمد احمد الحمود، ط1، مكتبة ابن تيمية، الكويت، 1990م,ص58.

((38)) ابن الجوزي, المنتظم,ج 16,ص259.

((39)) السبكي, طبقات الشافعية,ج 5,ص121.

((40)) الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد, تاريخ الاسلام , تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1990م ,ج38,ص25.

الامر بالتخلق بالأخلاق الكريمة الاسلامية والمحافظة على الواجبات والنهي عن الاخلاق والافعال الذميمة ويشتغلون بما لا ينفع او يضر اتباعا لميل العامة((41)).

ولم تتوقف الخلافات بين الاشاعرة والحنابلة عند حدود معينة او زمن محدد، بل كانت مستمرة وبأساليب متعددة، فكانت في مصر اخلاف حدثت بسبب التكفير، فكان للشيخ نجم الدين الخبوشاني الشافعي الاشعري مع الحنابلة فتن مستمرة وكان يكفرهم ويكفرونه((42)).

المطلب الثاني : اولاً : الاسباب السياسية للخلافات العقدية

رافقت الاحداث السياسية نشوء المذاهب، واشتدت في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ويلاحظ في هذه الخلافات الدور الكبير الذي لعبته السلطة ورجالها في اذكاء نار الطائفية وتأجيجها وتعصبها المذهبي الذي يدفعها للانحياز الى طرف دون الاخر.

ولعل من ابرز الخلافات التي حدثت بسبب العصبية المذهبية، سنة (972م) بين الشيعة والسنة، عندما استعد الناس لرد الغزاة البيزنطيين فاجتمعت اعداد هائلة من الشيعة والسنة مدججين بالسلاح فحدث تعصب بينهم، واستنفر المسلمون فثار من العامة عدد كثير بأصناف السلاح والسيوف والرماح والعصي حتى استعظم ما شاهده منهم ولم يوفق لترتيبهم وضمهم الى رئيس يقوم بهم بل جعلهم كالعدة لنفسه فصاروا وبالا عظيما وضروا على المحرمات بينهم واظهروا ضروب العصبية واثاروا الخلافات واقدم بعضهم على بعض بالقتل واستباحة الاموال والهجوم على الحرم والفروج وتفاقم الامر بينهم وبلغ كل مبلغ في الشر وعجز السلطان عن اصلاحهم واطفاء ما اثاره من نائرتهم حتى صار ذلك سببا لخراب بغداد ((43)).

كما اشار اليها الانطاكي بقوله: "فتحزبوا وصار اهل السنة طائفة، واهل الشيعة طائفة اخرى ولعن بعضهم بعضا، وتركوا ذكر الروم واعرضوا عنه جانبا، ... وصارت بينهم حروب عظيمة، ... وتفاقم الامر وعظم جدا، ولقي الناس منه شدة شديدة"((44)).

وقد ارتكب الوزير ابو الفضل الشيرازي في شهر شعبان (973م) مجزرة بحق الشيعة ببغداد، بسبب التعصب المذهبي للسنة، بعد ان قام صاحب المعونة بقتل رجل من اهل الكرخ فثاروا عليه وساعدهم الاتراك، فهرب منهم ودخل دارا في الكرخ فاخرجوه وقتلوه، فركب الوزير ابو الفضل الشيرازي "وكان شديد التعصب للسنة" وبعث حاجبه للكرخ فعاث فيها قتلا وحرقا((45)).

وهذه الحادثة تظهر الحقد الكبير لهذا الوزير ورجاله ضد الشيعة بحيث يقتل ويحرق الآلاف من الناس انتقاما من الشيعة لانهم قتلوا شخصا قصاصا منه لقتله احد ابنائهم، ، فمن ذلك انه احرق الكرخ ببغداد، فهلك فيه من الناس

((41)) الامين محسن , اعيان الشيعة ، تحقيق حسن الامين ، دار التعارف ، بيروت1983 ,ج6,ص473.

((42)) الذهبي: تاريخ الاسلام, ج20,ص 454.

((43)) الروذراوري ، ابو شجاع محمد بن الحسين, تجارب الامم , ط1، الكتب العلمية ، بيروت، 1424هـ/2003م, ج5, ص391.

((44)) الانطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى, تاريخ الانطاكي, تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، طرابلس، لبنان، 1990م, ص151.

((45)) ابن كثير, ابو الفداء اسماعيل بن عمر, البداية والنهاية, تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، القاهرة، 1993,ج 15,ص338.

والاموال مما لا يحصى، ومن ذلك انه ظلم الرعية واخذ الاموال ليفرقها على الجند ليسلم فما سلمه الله تعالى ولا نفعه ذلك...وكان ما فعله من ذلك ابلغ الطرق التي سلكها أعداؤه من الوقيعة فيه والسعي به، وتمشي لهم ما ارادوا لما كان عليه من تفريطه في امر دينه وظلم رعيته، وعقب ذلك ان زوجته ماتت وهو محبوس وحاجبه وكاتبه، فخربت داره وعفا اثرها((46)).

وكان الخلفاء العباسيين في كثير من الاحيان حتى في العصر البويهي منحازين ومتعصبين للطوائف السنية في الخلافات التي حدثت مع الشيعة، وهذا ما اتضح في موقف الخليفة القادر بالله من الخلافات التي حدثت بين الشيعة والسنة سنة (1008م)، والتي انحاز فيها الى جانب السنة، فارسل غلمانه لنصرتهم وشاركوا في المعارك ضد الشيعة((47)).

ولم يتوقف تعصب الخلفاء عند حدود معينة في دعمهم مذهب على حساب المذاهب الاخرى، ففي سنة (1017م)، اخذ الخليفة العباسي القادر بالله الذي كان يدعم اهل الحديث (الحنابلة)، بالتضييق على المذاهب الاخرى وبسبب هذا التعصب وقعت في بغداد خلافات بين الشيعة والسنة قتل فيها اعداد كبيرة من الطرفين وحاول رئيس الشرطة الدخول الى الكرخ الا ان اهلها منعوه، ولم يستطع الدخول ((48)).

وفي سنة (1029م)، عزل خطباء الجمع الشيعة واستبدالهم بخطباء من السنة، وعلى اثر ذلك في القبض على خطيب جامع براثا الشيعي في التاسع عشر من ذي القعدة، وحل محله خطيب سني، فلما صعد على المنبر جاء بمراسيم انكرها الشيعة واساء لهم بقوله "اللهم اغفر لمن زعم ان عليا مولاه"، فرماه الشيعة بالآجر وانزلوه من المنبر وكادت تقع اخلاف لذلك، وتوقفت صلاة الجمعة في جامع براثا((49)).

ان الاستيلاء على جامع براثا يدلل بوضوح على تعصب الخليفة القادر بالله في دعمه لمذهب واحد وتضييقه على حرية المذاهب، وتعصبه ضد الشيعة بالذات من خلال وصفهم بالكفرة والزنادقة وان جامع براثا اشبه شيء بمسجد الضرار"، اضافة الى الكثير من المغالطات في الاوصاف التي ذكرها في الرسالة التي وجهها الى صاحب الجيش بعد حدوث خلافات و ان هذه الخلافات سببت احتقاناً كبيراً للوضع في بغداد بين الشيعة والسنة، الامر الذي دعى الوزير عميد الدولة والاصفهلارية الطلب من حاجب الخليفة بعدم قدوم الخطيب للجامع الى ان تهدأ الخلافات، لان شيوخ الشيعة قد امتنعوا من الحضور للجامع، وان عوام الشيعة كانوا على استعداد لمنع اقامة الصلاة بإمامة الخطيب السني((50)).

ولم تختلف سياسية القائم بامر الله عن سياسة ابيه القادر بالله في تبنيه ودعمه للمذهب الحنبلي والتلويح بالاعتقاد القادري اينما وجد خلاف بين المذاهب لينتصر للحنابلة، فقد استعمل هذا الاعتقاد في النزاع الذي حصل بين الحنابلة والاشاعرة في في مسالة صفات الله تعالى((51)

((46)) ابن الاثير ,الكامل,ج 7,ص337.

((47)) ابن الجوزي, المنتظم ,ج15,ص59.

((48)) ابن كثير , البداية والنهاية,ج 15,ص573.

((49)) الذهبي, تاريخ الإسلام 28,ص268.

((50)) ابن الجوزي, المنتظم ,ج15,ص 200.

((51)) ابو يعلى الفراء, طبقات الحنابلة,ج 3,ص370.

اما احدوثة دعم البويهين للشيعة باعتبارهم ينتمون للمذهب الزيدي الشيعي تصطدم بحقائق عديدة منها؛ انه لم يسجل في تاريخ سيطرتهم على بغداد تدخلهم المباشر الى جانب الشيعة بالرغم من تعرض الشيعة للقتل والنهب والتهجير، وارتكاب المجازر بحقهم من قبل الحنابلة وبمرآى ومسمع من السلطة البويهية، اضافة الى الكثير من المواقف التي قام بها الخلفاء العباسيون للتضييق على المذهب الشيعي، ولم يحرك الامير البويهي ساكناً، ولم تؤشر الا بعض المبادرات التي قام بها معز الدولة اول امير بويهي في بغداد، بالسماح للشيعة باقامة احتفالاتهم واداء شعائرهم واظهار معتقداتهم بصورة علنية، الامر الذي ادى الى انتشار المذهب الشيعي ببغداد لتصبح له الغلبة من بين المذاهب الاخرى((52)

وتكررت الخلافات بين اهل الكرخ (الشيعة) والحنابلة فقاموا بنهب اموال الشيعة وخربت المساجد، وتدخل الشحنة لانهاء الخلافاتالا ان الخلافات تجددت في شهر ذي الحجة من السنة ذاتها، وتدخل الشحنة مرة أخرى لوقف القتال، فاستخدم العنف ضد اهل البصرة لانهاء الخلافات يبدو هنا ان الحنابلة هم المتسببون في هذه الخلافات كعادتهم، الامر الذي دعا شحنة بغداد باستخدام القوة ضدهم ، مع علمه بتعصب الخليفة العباسي الى جانب الحنابلة في نزاعهم مع المذاهب الأخرى((53)).

وتنوعت اشكال التعصب عند الحنابلة لخلق الخلافات مع المذاهب الاخرى، فلم يقتصر الأمر على الأحياء بل تعدى الى الاموات، فبعد نبش ونهب قبور رموز الشيعة، نلاحظهم يمنعون دفن العالم الشافعي، محمد بن عبد الله بن احمد بن عبد الصمد المهدي، عند قبر احمد بن حنبل، بسبب التعصب، الامر الذي ادى الى وقوع اخلاف بين الحنابلة والشافعية، التي لم تنته الا بتدخل الخليفة المقتفي((54)).

ثانياً : اثار الخلافات العقدية

كان للخلافات المذهبية اسبابا واضحه على الصعيد الاجتماعي والسياسي لما سببته من تباغض وتناحر بين المسلمين ادى الى تفكك واضطراب البنية الاجتماعية للمجتمع الاسلامي، نتيجة لحالات القتل والحرق والنفي التي رافقت هذه الخلافات، والتي اثرت على التركيبة السكانية للمجتمعات الاسلامية، ولعل اهم الاسباب الاجتماعية للفتن المذهبية هي:

اولا: حالات القتل

كانت حالات القتل التي تعرض لها مختلف شرائح المجتمع من بين ابرزها التي رافقت الخلافات المذهبية والتي لا تكاد تخلوا واحدة منها من هكذا حوادث، فمن اوائل حالات القتل التي حدثت بسبب الخلافات بين المذاهب كانت ابان اخلاف خلق القرآن بعد تبني الخلفاء العباسيين المأمون ، والمعتصم والواثق ، لمذهب المعتزلة واجبارهم العلماء على القول بخلق القرآن، وعلى اثر ذلك قتل عالم اهل الحديث احمد بن نصر الخزاعي من قبل الواثق لرفضه الاقرار بالقول بخلق القرآن، بعد ان تم القاء القبض عليه من قبل نائب بغداد اسحاق بن ابراهيم وارساله الى مقر الخلافة في سامراء((55))

ثانيا: التكتل الفئوي للسكان

((52)) ابن الاثير, الكامل,ج 7,ص279.

((53)) الذهبي, تاريخ الاسلام ,ج32,ص27.

((54)) ابن الجوزي: المنتظم ,ج 18,ص29.

((55)) الصفدي: الوافي بالوفيات 258/8

اثرت الخلافات المذهبية على التركيبة السكانية في المناطق التي كانت مسرحا لهذه الخلافات، فقد حاول اتباع المذهب الواحد التكتل والسكن في مناطق خاصة بهم، ليسهل عليهم مواجهة اصحاب المذاهب الاخرى اثناء هذه الاضطرابات والخلافات، فنجد مثلا الشيعة في بغداد يسكنون في احياء خاصة بهم تكاد تخلوا من اتباع المذاهب الاخرى مثل حي الكرخ وباب الطاق' واما الحنابلة فقد سكنوا في احياء خاصة بهم مثل باب البصرة و حي القلائين ونهر طابق، وغيرها من الاحياء الاخرى((56)).

ولم يكتف اصحاب المذهب الواحد بالسكن في مناطق خاصة بهم بل حاولوا تحصينها وذلك من خلال اقامة الاسوار التي تحيط بها ووضع الابواب عليها، فقد وضع سكان منطقة الكرخ بابا على سور محلة الدقاقين، كما وضع اهل محلة القلائين بابا على سور محلتهم في اعقاب الخلافات التي حدثت سنة (408هـ/1017م) بينهم وبين اهل الكرخ، ولاشك ان هذا الاجراء هو لغرض الدفاع الذاتي عن مناطقهم((57)).

وإنَّ هذا التكتل الفئوي للسكان لم يقتصر على مدينة بغداد وحدها، وانما نجده ايضا في مدينة واسط، حيث كان الشيعة يجتمعون في محلات خاصة بهم، وهذا ما نستشفه من خلال قول ابن الجوزي عندما ذكر الخلافات التي وقعت بين الشيعة والسنة سنة(407هـ/1016م) في واسط، والتي نهبت على اثرها المحال الخاصة بالشيعة والزيدية وقد حدد ياقوت الحموي بعض المحال الخاصة بالشيعة في واسط عندما ذكر ان محلة الحزامين التي كانت تقع في الجانب الشرقي من واسط كان فيها مشهد لأحد الائمة من سلالة الامام الحسن بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) ((58)).

ثالثا: حرق الاحياء والدور السكنية

كان احراق الاحياء والدور السكنية في الغالب يصاحب حدوث الخلافات والاضطرابات المذهبية، وخاصة بالنسبة للأحياء الشيعية، بينما لم تذكر لنا المصادر الا ما ندر عن تعرض الاحياء السنية للحرق، وهذا ما يقودنا الى استنتاج الى أنَّ هذه الخلافات كانت تحدث غالبا اما داخل او قرب الاحياء الشيعية، وهذا يعني انهم هم من كانوا يتعرضون للاعتداء من قبل الآخرين، أو أنَّ الحنابلة كانوا ينطلقون من نظرتهم العقائدية والتي يعتبرون فيها الشيعة مرتدين او كفاراً يجوز حرق ونهب اموالهم((59)).

رابعا: الهجرة

كانت ظاهرة الهجرة الاضطرارية من بين الاثار الاجتماعية للفتن المذهبية، فمن اوائل هذه الحالات ما تعرض له البخاري اثر اخلاف خلق القرآن بعد تعرضه للمضايقة والتهديد بسبب الخلاف بينة وبين محمد بن يحيى الذهلي بعد اتهامه بالقول بخلق القرآن الامر الذي اضطره للهجرة خارج نيسابور((60)).

((56)) ابن عبد الحق البغدادي, صفي الدين عبد المؤمن, مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ،1992,ج 1,ص145.

((57)) ابن الجوزي: المنتظم، ج15,ص125.

((58)) ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله الرومي , معجم البلدان, د ط ، دار صادر ، بيروت، 1977م,ج 2,ص252.

((59)) ابن الجوزي, المنتظم ,ج16, ص259.

((60)) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ,ج2,ص356.

خامسا: النفي والتهجير والسجن

رافقت بعض الخلافات المذهبية ظهور حالات من النفي والتهجير والسجن تعرض لها العلماء بصورة خاصة، ومن هذه الحالات تعرض احمد بن حنبل امام المذهب الحنبلي الى السجن في اخلاف خلق القرآن بعد رفضه الاقرار بخلق القرآن الى جانب العالم محمد بن نوح) ليلتقيا الخليفة العباسي المأمون بعد ان حمل من مصر الى بغداد لأنه رفض القول بخلق القرآن((61)).

سادسا: ضعف السلطة وسقوط هيبتها

كان من الاثار السياسية للفتن المذهبية، هو اضطراب الوضع الامني في البلاد، الامر الذي ادى الى تجرؤ عامة الناس على السلطة والتقليل من هيبتها، ففي سنة (972م) وبسبب الخلافات التي حدثت ببغداد بين الشيعة والسنة، تجرأ العامة واظهروا السلاح ولم يعيروا اهمية للسلطة التي تدخلت لانهاء الخلافات، واستمر القتال بينهم وعجز السلطان عن ضبطهم وردعهم وقد تكرر الامر في الخلافات التي تسببت في الاخلال بالنظام وفقدان السلطات قدرتها على حفظ الامن وحماية ارواح واموال الناس، الامر الذي دعا التجار واصحاب الدكاكين للقيام بالخفارات لغرض الحفاظ على اموالهم وبضائعهم من غارات العيارين((62)).

سابعا: قطع الخطبة

وكان من ابرز النتائج السياسية للخلافات المذهبية، انها اظهرت موقف طائفة كبيرة من المسلمين ونظرتهم لمدى مشروعية حكم العباسيين للعالم الاسلامي، وهذا ما نراه في موقف نور الدولة دبيس بن مزيد الاسدي عندما قام بقطع الخطبة للخليفة العباسي القائم بامر الله احتجاجا على موقفها المهادن للحنابلة في الخلافات التي جرت ببغداد مع الشيعة في سنة (443هـ/1051م)، وهذا ما اشار اليه ابن الاثير بقوله: "ولما انتهى خبر احراق المشهد [ضريح الامام موسى الكاظم] الى نور الدولة دبيس بن مزيد عظم عليه واشتد وبلغ منه كل مبلغ لأنه واهل بيته وسائر اعماله من النيل وتلك الولاية كلهم شيعة فقطعت اعماله خطبة الامام القائم بأمر الله فروسل في ذلك وعوتب فاعتذر بان اهل ولايته شيعة واتفقوا على ذلك فلم يمكنه ان يشق عليهم كما ان الخليفة لم يمكنه كف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا وأعاد الخطبة على حالها"((63))

الخاتمة

1ـ الاختلاف أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع، استعير ذلك للمنازعة والمجادلة

2– شهد مجتمعنا الاسلامي وعبر مساره التاريخي كغيره من المجتمعات الانسانية ظهور الاختلافات فيه، التي كانت تتشكل وتتطور عبر مسار بنائي مرتبط بحركة تلك المجتمعات

((61)) الشيرازي، الشافعي، جمال ابراهيم بن علي بن يوسف , طبقات الفقهاء, تحقيق احسان عباس، دار الرائد العربي بيروت, 1970م,ص.98.

((62)) مسكويه: تجارب الامم 405/5.

((63)) ابن الاثير, الكامل في التاريخ, ج 8,ص302.

3- الخلافات العقدية هي مفاهيم وافكار من سعة الافق عند الاسلاميين ولا تصل بحال من الاحوال الى العقيدة المتواترة لدى المسلم.

4- ان تأسيس المذاهب الاسلامية وظهورها في الواقع المذهبي والفكري قد حصل بعد وفاة اصحاب المذاهب الاربعة بسبب تعصب اتباع كل امام لفقه مذهبهم

5- ان هذه الخلافات انتجت لنا مدارس علمية تنتهج مناهج اسلامية واثرت هذه المدارس الفكر الاسلامي بألاف المصنفات التي نفتخر بها ونعتز بعلمائنا الذين اسهموا في تطوير الفكر الانساني بكل مجالاته.

6- العلماء المحققون يؤكدون على عدم التعصب وتكفير احد من اهل القبلة بسبب اختلاف في الآراء لان الفهم ابتعاد عن مفهوم الوسيطة الذي جاء به الاسلام.

المصادر

- **القران الكريم**
- الكتب

1- ابن الاثير , أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ, تحقيق: عمر عبد السلام تدمري, دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان, الطبعة: الأولى، 1997.

2- ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن, الكامل في التاريخ, تحقيق عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986.

3- ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن , المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا, ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992م.

4- ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن احمد بن محمد. شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الارنؤوط، ط1، دار بن كثير، بيروت، 1986م.

5- ابن رجب, , زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن, ذيل طبقات الحنابلة, تحقيق عبد الرحمن سليمان العثيمين، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2005م.

6- ابن عبد الحق البغدادي, صفي الدين عبد المؤمن, مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ،1992.

7- ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسين ابن هبة الله , تبيين كذب المفتري, تحقيق القدسي، مطبعة التوفيق، دمشق، 1928م.

8- ابن قدامة المقدسي ، ابو محمد عبد الله بن احمد, مناظرة في القرآن العظيم, تحقيق ابو عبد الله محمد احمد الحمود، ط1، مكتبة ابن تيمية، الكويت، 1990م.

9- ابن منظور ، جمال الدين محمد ,لسان العرب تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد احمد حسب، واخرون، دار المعارف، القاهرة.

10- ابو داود ، سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني, سنن ابي داود، تحقيق شعيب الارنؤوط، محمد كامل قره بللي، ط1 ، دار الرسالة العالمية ، بيروت، 2009م.

11- ابو يعلي, الحسين محمد بن ابي يعلي ,طبقات الحنابلة , تحقيق محمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت.

12- الامين محسن , اعيان الشيعة ، تحقيق حسن الامين ، دار التعارف ، بيروت1983.

13- الانطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى, تاريخ الانطاكي, تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، طرابلس، لبنان، 1990م.
14- الترمذي، محمد بن عيسى ابو عيسى السلمي, سنن الترمذي وهو (الجامع الصحيح)، تحقيق محمد ناصر الدين الالباني، ط1، مكتبة المعارف، الرياض.
15- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ط الأولى 1416هـ/1996م,
16- الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبد الله ، ابو عبد الله الحاكم, المستدرك على الصحيحين، تحقيق عبد الملك بن عبد الله، ط1، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، 1990م .
17- الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني , مفردات ألفاظ القرآن, أبو القاسم ، دار القلم دمشق.
18- الخطيب البغدادي ، ابو بكر محمد بن علي بن ثابت, تاريخ بغداد ، تحقيق بشار عواد معروف ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2001م.
19- الدهلوي، ولي الله ,الانصاف في بيان اسباب الاختلاف، راجعه وعلق عليه عبد الفتاح ابو غدة، ط2، دار النفائس، بيروت، 1986م.
20- الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد, تاريخ الاسلام , تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1990م .
21- الروذراوري ، ابو شجاع محمد بن الحسين, تجارب الامم , ط1، الكتب العلمية ، بيروت، 1424هـ/2003م.
22- السبكي ، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي, طبقات الشافعية, تحقيق محمود محمد الطناحي ، وعبد الفتاح محمد الحلو ، ط1 ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة، 1964م.
23- الشيرازي، الشافعي، جمال ابراهيم بن علي بن يوسف , طبقات الفقهاء, تحقيق احسان عباس، دار الرائد العربي بيروت, 1970م.
24- الطبرسي ، ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب , الاحتجاج ، تحقيق: ابراهيم البهادري، ومحمد هادي ، ط3، دار الاسوة للطباعة والنشر ، طهران، ايران، 2001 م .
25- الطبري , محمد بن جرير أبو جعفر، تاريخ الرسل والملوك , الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى، 1407.
26- عوامه، محمد، أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، دار البشائر، بيروت، ط2، 1418هـ/1998م.
27- الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب شرح الوجيز ,المكتبة العلمية، بيروت, ص179.
28- محمد عزيز نظمي سالم، الثقافة والعقيدة الإسلامية, مؤسسة شباب الجامعة، 1986 م، الإسكندرية، مصر.
29- مصطفى سعيد الخن والدكتور محيي الدين ديب مستو، العقيدة الإسلامية –أركانها –حقائقها –مفسداتها، دار ابن كثير، ط6 , دمشق، بيروت، 2009 م.
30- المطهر بن طاهر المقدسي, البدء والتاريخ , مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
31- مغنيه، محمد جواد: الشيعة والحاكمون ، المطبعة العلمية ، قم المقدسة ،1979م .
32- الهمذاني ، ابو الفضل محمد بن عبد الملك بن ابراهيم ,تكملة تاريخ الطبري, تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط1 ، دار سويدان ، بيروت، 1998.
33- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله الرومي , معجم البلدان, د ط ، دار صادر ، بيروت، 1977م.